الامبراطورية الرومانية

الرومان هم شعب استقروا في وسط شبه الجزيرة الايطالية ابتداء من القرن الثاني عشر ق و قاموا بتأسيس مدينة روما القديمة ثم عمل هذا الشعب على تنظيم و تطوير مؤسساته السياسية و العسكرية و الاجتماعية و بدأ بالتوسع التدريجي و أسس دولة سيطرت في بادئ الأمر على شبه الجزيرة الايطالية ثم اتسعت هذه الدولة و سيطرت على معظم العالم القديم و أصبحت حدودها شاسعة امتدت من الجزر البريطانية و شواطئ أوروبا الأطلسية غربا الى بلاد ما بين النهرين و ساحل بحر قزوين شرقا و من وسط أوروبا حتى شمال جبال الألب و الى الصحراء الأفريقية الكبرى و البحر الأحمر جنوبا و بذلك كانت مثالا على مفهوم الدولة الجامعة ذات الطابع الاستعماري و استمرت حتى القرن الخامس م الذي فيه تمكنت القبائل الجرمانية من السيطرة على مقاطعات الدولة الرومانية عام ٤٧٦ م

ليس هناك وثائق أو اثباتات تاريخية تحدد مجيء الرومان الى شبه الجزيرة الايطالية و تأسيسهم مدينة روما و انما يعتمد المؤرخون على مجموعة من الأساطير و الروايات التي تناقلها الأشخاص الذين درسوا التاريخ القديم على مر العصور و تؤكد الاكتشافات الآثارية و المستندات التاريخية وقائع تأسيس القرية الصغيرة على يد الزعيم اللاتيني رومولوس و قد أطلق عليها اسم روما نسبة الى مؤسسها رومولوس و نصب نفسه ملكا عليها كأول ملك على روما و المناطق المحيطة بها و أسس بذلك سلسلة من الملوك بلغ عددهم سبعة حكموا روما و تشير الروايات الى أن رومولوس ركز خلال تأسيس الدولة على النواحي العسكرية و قد وضع استراتيجية تتلخص في السيطرة على الأراضي المحيطة بروما ثم التوسع و السيطرة على الأقاليم المجاورة و أرسى القواعد الأولى للشرائع و الديانة الرومانية

أسقطت ثورة الشعب الروماني الملك الطاغية تارلينيوس و اعتبر الرومان عام ٥٠٩ ق مفترقا أساسيا في حياتهم السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و أطلقوا عليه اسم عام المجد و كان ذلك بعد سلسلة من الأحداث السياسية و العسكرية التي لا تزال غامضة حتى وقتنا الحاضر و توصل الشعب الروماني الى تنظيم جديد للسلطة في روما و ابتداء من ذلك التاريخ بدأت العملية الفعلية لبناء الامبراطورية الرومانية فعملوا على التوسع الجغرافي حيث وضعوا نصب أعينهم هدفا أساسيا ينحصر في التوسع الجغرافي باستخدام القوة العسكرية و السياسية و الاقتصادية و رأوا بأن هذه الطريقة هي الأفضل لتحقيق طموحات هذه الدولة الفتية

فبدأوا بحروب شبيهة بالغزوات القبلية المحدودة تستهدف اخضاع العشائر و العائلات المحيطة بروما و كان ذلك خلال مراحل قيام الجمهورية الأولى التي قامت بتأسيس الامبراطورية الرومانية ثم بدأت مرحلة قيام الجمهورية الثانية التي شهدت تحول الدولة الصاعدة من قوة لاتينية داخل شبه الجزيرة الايطالية الى قوة عسكرية عالمية تتأثر بما يجري و تؤثر على ما يجري في مركز العالم القديم حوض البحر الأبيض المتوسط و في هذه المرحلة انتهت حروب روما داخل شبه الجزيرة الايطالية و بدأت حروب الرومان مع الفينيقيين أو القرطاجيين التي كانت مدينة قرطاجة الكائنة في شمال أفريقيا عاصمة لهم و قد سميت هذه الحروب بالحروب البونيقية

بدأ الصراع الروماني القرطاجي كصراع تجاري ثم أخذ أبعادا عسكرية و كان أول احتكاك بين الطرفين عندما احتل الرومان جزيرة صقلية عام ٢٦٤ ق و اعتبر القرطاجيون هذا الغزو مساسا مباشرا بمصالحهم الاقتصادية و السياسية و هذه الواقعة كانت البداية الأولى بين الرومان و القرطاج و قد استمرت الحرب البونيقية من عام ٢٦٤ الى عام ٢٤١ ق و في الحروب البونيقية خاض الطرفان سلسلة من المعارك البرية و البحرية حسم بعضها و بقي الآخر دون نتائج حاسمة و لكن كان غالبية حسم المعارك للرومان و خصوصا المعارك البرية أما المعارك البحرية فكانت غالبا نتائجها للقرطاجيين حيث كانت معظم قواتهم بحرية بخلاف الرومان الذين كانت قواتهم برية

و قد حقق الرومان أول انجاز لهم عندما أخرجوا القرطاجيين من صقلية عام ٢٤١ ق ثم تلا ذلك أن تمكن القائد الروماني ماركوس ديغولوس من هزيمة الأسطول القرطاجي عام ٢٥٦ ق و كانت هذه المعركة أول معركة بحرية يخوضها الجيش الروماني و لكن القرطاجيين لم يستكينوا للرومان وقرر قائدهم في هذه الحقبة من الزمن هانيبال الاستمرار في مد رقعة السيطرة القرطاجية على الساحل الأسباني و قد وصلوا الى مرسليا عاقدين العزم على غزو الأراضي الايطالية من الجهة الشمالية الغربية

و بدأ القرطاجيون حملتهم الجديدة على الرومان و من هنا بدأ ميزان القوى يميل ضد مصالح روما فبعد أكثر من عشر سنوات من الحروب المستمرة مع أعداء مختلفين على جميع الاتجاهات لشبه الجزيرة الايطالية قويت حملة هانيبال المدروسة و المعد لها جيدا و أصبحت مثل رأس الحربة في وجه الطموحات الرومانية خصوصا أن هذه الحملة قد ظهرت مع ظهور عدد من الأطراف المعادية للرومان و أصبحت الدولة الرومانية في ريب و خوف من التحالفات التي سوف تقف في وجه المخططات التوسعية

تمكن هانيبال من تحقيق سلسلة من الانتصارات للقرطاجيين على الرومان تتمثل في الانتصار على الجيش الروماني في معركة كاني و الاستيلاء على مدينة ساعونتوم حليفة روما و قطع نهر تريبيا و قد سبق تلك الفترة تحالف بين الملك المقدوني فيليب الخامس و هانيبال ضد الرومان و زاد الطينة بلة انفصال سيراكوز في صقلية عن السلطة المركزية في روما و من هنا أصبحت روما على حافة الهزيمة و لكن أصر الرومان على الصمود في وجه جيوش هانيبال و حلفائه و بهذا الصمود تعثر تقدم هانيبال الى روما و تم دحر الجيوش القرطاجية و قد تعددت أسباب الهزائم القرطاجية و منها

بقاء معظم حلفاء روما اللاتينيين الى جانبها في أوقات الأزمات و عدم وصول المساعدات و الامدادات الى قوات هانيبال و كانت الحكومة القرطاجية تعاني من الانقسامات و الفساد مما أدى الى عدم مساندة الحملة الهانيبالية و كان القسم الأكبر من جيش هانيبال من الخيالة و كان هذا السلاح فعالا في العمليات القتالية المتحركة و السريعة و لكنه غير ملائم لعمليات الحصار و احتلال الأراضي

و هذه المواقف و المؤثرات استغلها الرومان فأعادوا تنظيم جيوشهم و نشرها على مختلف الجبهات و قاموا بسلسلة من الحملات أدت الى استعادة كل من مدينة سيراكوز و كابي و قرر الرومان فتح جبهة في أسبانيا لمحاصرة قوات هانيبال و منع التعزيزات من الوصول اليها و قد ألحقت القوات الرومانية هزيمة بالقوات القرطاجية في معركة إيليبا في أسبانيا و في هذه الأثناء تراجع الملك المقدوني فيليب الخامس عن التحالف مع هانيبال فسعى الرومان الى مصالحته و قد قاد القائد الروماني سيبيو جيشا قوامه ٢٥ ألف رجل من المشاة المدعمين بالخيالة و قطع به البحر الأبيض المتوسط متجها الى قرطاجة و أصر القرطاجيون على استدعاء هانيبال من أسبانيا لقيادة الجيوش القرطاجية و التقى الجيشان في معركة زاما التي انهزم فيها القرطاجيون

بعد هذه الهزيمة عقدت معاهدة اتفق فيها الطرفان على أن يدفع القرطاجيون الجزية خمسين عاما و تخفيض سفن القرطاجيين الى عشر سفن و عدم شن أي حرب خارج أفريقيا الا بموافقة روما و هذا الانتصار الروماني كان من نتائجه السيطرة الرومانية على الساحل الأسباني الشرقي و الجنوبي و تم تقسيم أسبانيا الى مقاطعتين تحت اسم أسبانيا القريبة و أسبانيا البعيدة

اثر الانتهاء من درء الخطر القرطاجي اتجهت أنظار الرومان شرقا و أصبحوا يفكرون في الاستيلاء على مملكة مقدونيا و بالفعل أعلنوا عليها الحرب و كان لهم أهداف تتمثل في الحد أو القضاء على النفوذ المقدوني في الشرق و السيطرة على الجزر الواقعة في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط نظرا لأهميتها البالغة على صعيد الملاحة و التجارة و الوصول الى أراضي المملكة السلوقية التي كانت تسيطر على أجزاء من آسيا الصغرى و شمال سوريا

و بعد تحديد تلك الأهداف شن الرومان سلسلة من المعارك التي انتهت باحتلال كامل الأراضي المقدونية في الشرق و تم السيطرة على بلاد الاغريق اليونان و بنهاية هذه الحروب اتسعت حدود الجمهورية الرومانية من أسبانيا غربا الى السواحل

الغربية لآسيا الصغرى شرقا بالإضافة الى الأراضي القرطاجية في شمال أفريقيا و قسمت هذه الأراضي الشاسعة الى سبع مقاطعات مرتبطة بالحكومة المركزية في روما

و بعد هذه الانتصارات أصبحت الدولة الرومانية دولة عظمى يصعب قهرها و تتحكم بمقدرات العالم القديم الغربي و الشرقي و في هذه المرحلة بدأ التاريخ الروماني يضج بأسماء القادة و الزعماء المنتصرين و تحولوا الى طبقة حاكمة تؤثر على مجرى الأحداث في روما و خارجها و بعد فترة الراحة التي تلت الحرب كانت مقدمة لمرحلة جديدة من الفتوحات الرومانية الواسعة و بدأت عملية التوسع بالتوجه نحو فرض النظام الامبراطوري و تم ذلك على فترتين

الامبراطورية الأولى دخلت الدولة الرومانية المرحلة الجديدة و الحاسمة من تاريخها و هي المرحلة الامبراطورية بعد أن أصبح القائد اوكتافيان أول امبراطور على روما و استمر حكمه حوالي ٤٠ عاما و تم خلالها بسط السيطرة على مصر بعد هزيمة كليوباترا في موقعة أكتيوم البحرية و ما تبقى من بلاد الغال فرنسا و حاول غزو جرمانيا الداخلية فانهزم في موقعة تيوتبيرج و أبيدت الكتائب الرومانية بالكامل و كان عددها خمسة و عشرين ألف مقاتل و رجع القائد فاروس الى روما مهزوما و أسس اوكتافيان السلالة الامبراطورية التي عرفت باسم السلالة الجوليانية نسبة الى عمه يوليوس قيصر

الامبراطورية الثانية في هذه الفترة بدأت الديانة المسيحية بالانتشار في الأرجاء الشرقية للامبراطورية الا أن الديانة الرسمية للامبراطورية كانت وثنية تعود في أصولها الى الديانة الاغريقية

بدأ العد العكسي في حياة الدولة الرومانية اعتبارا من عام ٢٣٥ م فقد شهد ذلك العام ازديادا خطيرا في الاضطرابات السياسية و الاجتماعية و تصاعدت فيه الهجمات الخارجية و خصوصا من القبائل الهمجية و الجرمانية و عودة الامبراطورية الفارسية في الشرق التي انتزعت أرمينيا من يد الرومان و سيطرت على أراضي ما بين النهرين و زحف الجيش الفارسي و اجتاح أنطاكية و سوريا و لم يستطع الرومان صده حتى جاء الامبراطور ديوكليتيان الذي يعتبر مؤسس الامبراطورية الثالثة و تمكن من اعادة الحكم بحيث يسند الى أربعة أشخاص يتقاسمون السلطة و هو النظام الذي عرف باسم الحكم الرباعي و قد استمر العمل بهذا النظام حتى عام ٣٠٥ م ثم تبع ذلك صراع على السلطة استمر طيلة الفترة من ٣٠٦ - ٣١٣ م الى أن جاء الى العرش الامبراطور قسطنطين الذي اعتبر حكمه نقطة تحول أساسية في مسار الامبراطورية الرومانية

خلال الصراع على السلطة شهدت الدولة الرومانية فوضى لم يسبق لها مثيل حيث كان التنافس على زمام الامبراطورية بين سبعة رجال و هم ماكسيميان و غاليريوس و مكسنتيوس و مكسيمينيوس دايا و ليسينيوس و قسطنطين بالاضافة الى دوميتيوس ألكسندر الذي أعلن انفصاله في أفريقيا و بدأ الجميع بالانهيار و لم يبق سوى ليسينيوس الذي كان يسيطر على المناطق الشرقية و قسطنطين الذي كان قد قوي و سيطر على المناطق الغربية و قد توصل الاثنان الى اتفاق على التعايش و الاعتراف لكل من الآخر بسلطته و سيطرته على المناطق التي يحكمها و استمرت هذه الهدنة حوالي عشر سنوات

و في عام ٣٢٤ م وقع صدام بين الرجلين في معركة أدريانوبل التي انتصر فيها قسطنطين و بهذا الانتصار قامت قوات قسطنطين بمطاردة قوات ليسينيوس في آسيا الصغرى و تمكن قسطنطين من اعتقال خصمه و اعدامه و أصبح قسطنطين هو الامبراطور الوحيد في روما و قد اتخذ بعض الاجراءات التي تهم الدولة منها اعادة النظام و ادخال الاصلاحات التي رآها ضرورية و اعتناقه الديانة المسيحية و اعتبارها الديانة الرسمية للدولة الرومانية و انشاء عاصمة جديدة لدولته في منطقة بيزنطيوم على ضفاف البوسفور و سماها روما الجديدة و قد عرفت فيما بعد باسم القسطنطينية

في القرن الثالث م اتضح أن الامبراطورية قد انتهت كدولة قوية كانت مسيطرة على العالم القديم و في بداية القرن الرابع م لم تعد الدولة موحدة بالفعل و أصبحت عرضة بشقيها الشرقي و الغربي للهجمات الخارجية و لم يكن هناك مقاومة أو وسائل دفاعية و لكن تمكن الامبراطور ثيودوسيوس في الشرق من تغيير الأوضاع اذ تمكن من اعادة بناء القوة العسكرية و تنظيم الجيش الذي كان مكونا من الفرس و القبائل الغوطية و ظل الوضع طول القرن الخامس م في ازدهار و نمو و توسع في حين مرت الدولة في الغرب بالمزيد من الأزمات و عانت من هجمات القبائل الجرمانية

و في منتصف القرن الخامس م سيطرت القبائل الجرمانية على الدولة الرومانية في روما و أصبح الأباطرة مجرد أدوات في أيدي زعماء القبائل حتى تمكن الزعيم الجرماني أودواسر من خلع الامبراطور الروماني رومولوس اغسطولوس و أعلن نفسه ملكا على روما عام ٤٧٦ م و بهذا تم تفكيك الدولة الرومانية في أوروبا الغربية نهائيا